CC BY 4

College of Basic Education Research Journal

https://berj.uomosul.edu.iq/

Character Reproduction/ Structural Replication: A Socio-Cultural Approach in Nizar Abdel Sattar's Novel "Yuliana"

Hamid Abdulwahab Hassan

Imam Al-Azam University College, Department of Arabic Language, Mosul, Iraq.

Article Information

Article history:
Received: May 11, 2026
Reviewer: June 23, 2026
Accepted: ***June 29, 2026***
Available online: September, 2026

Keywords:
Character,
Symbol,
Sociocultural,
Reproduction.

Correspondence:
Hamid Abdulwahab Hassan
Email: *dr.hameed.abdulwahab@imamaladham.edu.iq*

Abstract

Despite the importance of character as a structural element in the novel, its study in this sense is not new. This study seeks to transcend this by approaching its sample from a sociocultural perspective, aiming to connect the text to its cultural and social dimensions and represent the value system that produced it, thus serving the goals of sustainable development to which art in general, and the novel in particular, are linked. The socio-cultural approach in Nizar Abdul Sattar's novel "Yuliana" is based on reading the text as a mirror reflecting the social and cultural transformations in Iraqi society, particularly in light of the political conflicts and turmoil that followed the wars. The novel highlights the interplay between religious and cultural identities through the character of "Yuliana," who represents the "other" within a tense and fragmented environment. She reveals the problematic nature of coexistence among the various components of society and demonstrates how the social structure influences the formation of individual consciousness and behavior. The novel also sheds light on the impact of violence and political circumstances on reshaping values and human relationships, as fear and anxiety become active elements in character development, reflecting a turbulent social reality.

P-ISSN: 1992–7452 **E-ISSN:** 2664-2808

تناسل الشخصيات/ نسخ البنية مقاربة سوسيو ثقافية في رواية يوليانا لنزار عبدالستار

حميد عبدالوهاب حسن

كلية الإمام الأعظم الجامعة، قسم اللغة العربية، موصل، العراق.

المستخلص

على الرغم من اهمية الشخصية بوصفها أحد عناصر البناء الفني في الرواية، فان دراستها لم تعد جديدة بهذا الوصف، وهو ما تسعى هذه الدراسة لتجاوزه بمقاربة عينتها من وجهة نظر سوسيو ثقافية تهدف الى ربط النص بأبعاده الثقافية والاجتماعية وتمثل منظومة القيم التي يعمد النص إلى ترسيخها، ويرتبط بها الفن عموما والرواية بشكل أخص. تقوم المقاربة السوسيو– ثقافية في رواية "يوليانا" للكاتب نزار عبد الستار على قراءة النص بوصفه مرآةً للتحولات الاجتماعية والثقافية في المجتمع العراقي، ولا سيما في ظل الصراعات السياسية والاضطرابات التي أعقبت الحروب. تُبرز الرواية التداخل بين الهويات الدينية والثقافية من خلال شخصية "يوليانا"، التي تمثل نموذجًا للآخر المختلف داخل بيئة يغلب عليها التوتر والتشظي، حيث تكشف عن إشكالية التعايش بين مكونات المجتمع، وتُظهر كيف تؤثر البنية الاجتماعية في تشكيل وعي الأفراد وسلوكهم. كما تسلط الرواية الضوء على تأثير العنف والظروف السياسية في إعادة تشكيل القيم والعلاقات الإنسانية، إذ يتحول الخوف والقلق إلى عنصرين فاعلين في بناء الشخصيات، مما يعكس واقعًا اجتماعيًا مضطربًا.

الكلمات المفتاحية: الشخصية، الرمز، سوسيوثقافية، التناسل.

المقدمـــة

تعد الشخصية أحد أهم عناصر الرواية بالنظر لدورها المحوري في منح العناصر الأخرى أسباب وجودها ونموها وتطورها، يسير معها الزمن، وتحرك الحدث وتضفي على المكان سماته التي يكون بها أليفاً أو معادياً، مفتوحاً أو مغلقاً.

وعلى الرغم من أن دراسة الشخصية لم تعد جديدة بهذا الوصف فإنها مازالت فضاءً مفتوحاً وملغزاً وقابلاً للتأويل والمقاربة من زوايا غير مكتشفة، أو قابله للإضافة والتطوير، وهو ما تسعى هذه الدراسة إلى سبر أغواره والإحاطة بأبعاده من وجهة نظر سوسيوثقافية تهدف إلى ربط النص بأبعاده الثقافية والاجتماعية وتمثّل منظومة القيم التي يعمد النص إلى ترسيخها، ويرتبط بها الفن والأدب عموماً والرواية بشكل أخص. إن هذه الفكرة ليست مبتكرة بل أن جذورها تمتد إلى بواكير الأعمال النقدية بمنهجية غير متكاملة، إذ يشير فورستر إلى أن الروائي يمكن أن يحكي عن أي شيء في العالم لكنه "يفضل أن تحكي قصة عن كائنات بشرية، وهو يقيس الحياة بالقيم كما يقيس الحياة بالزمن"(فورستر، 1960، 82).

ويعد التناصيون وفي مقدمتهم ميخائيل باختين وجوليا كرستيفا كل نص تناصاً، تأسيساً على أن السياق الاجتماعي الذي ينطلق فيه النص ما هو إلا نتيجة لتضافر المجموعات اللغوية (الخليل، 2022، 394). وهذا ما يتيح امكانية القول بأن السرد لا يقتصر على الفنون الكتابية أو الشفوية بل يشمل مظاهر الحياة كافة (النورس، 2014، 13).

وإذا كانت الشخصية (character) كائناً ورقياً فإن هناك الكثير من أوجه الشبه التي تصلها بالإنسان (Person). ان كل شخص يشبه كل الناس في بعض الأشياء ويشبه بعضهم في أشياء، ولا يشبه أحداً في أشياء أخرى (العاني، 1989، 6). وما يختلف في تشكيل الشخصية أننا نعلم عنها في خاتمة المطاف السردي أكثر مما نعلمه عن الإنسان الذي لا يميل غالباً إلى الكشف من كل أسرار عالمه الداخلي.

وعلى الرغم من أن الروائيين يستثمرون العزف على وتيرة الإيهام بالواقع فإن الشخصية الروائية تبقى علامة لا وجود لها في العالم الواقعي (نجم، 2014، 214).

يدور المعنى اللغوي للشخص حول سواد الإنسان وغيره والجمع أشخاص وشخوص وشخاص، والشخص: كل جسم له ارتفاع وظهور والمراد به إثبات الذات (ابن منظور، د.ت، مادة شخص).

والشخصية اصطلاحاً "وحدة دلالية قابلة للتحليل والوصف من حيث هي دال ومدلول وليس كمعطى قبلي ثابت"(بحراوي، 1990، 213)، وبذلك فهي هيكل أجوف أو وعاء مفرغ يكتسب مدلوله كلما تقدمنا في السرد (جنداري، 2000، 86).

إن تناسل الشخصيات تقانة منى تقانات بناء الشخصية، تجنح إلى تأصيل وترسيخ بعض سماتها، وإضفاء بعد دلالي أعف عليها باللجوء القصدي إلى التكرار. وقد أشار فيصل غازي النعيمي إلى هذا المصطلح من دون وقوف تفصيلي عند حدوده في معرض دراسته لرواية "فارايا" لعبد المنعم الأمير (غازي، 2020، 136-137).

وفي الوقت الذي اختزلت رواية "فارايا"، توظيفها لهذه التقانة بشخصية "العتوي" فإن رواية يوليانا عينة بحثنا استثمرته على نطاق واسع، بل وأسست عليه تشكيل أهم شخصياتها وأتاحت إمكانية تقسيمه على نوعين هما: التناسل البيولوجي والتناسل الرمزي للشخصيات.

التناسل البيولوجي للشخصيات:

يحيل المفهوم البيولوجي للتناسل إلى استمرار النوع ويشمل الذرية والأحفاد، وهو ما سنقيس عليه تناسل الشخصيات في المتخيل السردي، إذ عمد الروائي نزار عبدالستار إلى نسخ بنية بعض شخصياته المترابطة نسباً بما يمكن معه انتقال صفاتها الوراثية، مماهياً بسحرية بين الواقعي والمتخيل، ممازحاً بين التشكيل الفني الجمالي والتفاصيل الدقيقة لمكنونات النفس الإنسانية المرهقة بفعل العنف وفساد القيمة والنظرة الاجتماعية الدونية للإعاقة، واستهجان أي شكل من أشكال السلوك الإنساني المنحاز عن شرط المجتمع وثقافته المنمطة.

ججو/ إرث العاهة والنقاء

تدور معظم أحداث الرواية في محافظة نينوى بين بلدة كرمليس والموصل مركز المحافظة، وسكان البلدة مسيحيو الديانة، طالهم التهميش أحقاباً طويلة من الزمن لكونهم من سكنة الضواحي فضلاً عن التمييز على أساس الدين "منذ أن مر بها الإمبراطور الروماني تراجانوس سنة ١١٦ وإلى أن بدأت الحرب العالمية الأولى، وبلدة كرمليس منقطعة تماماً عن المفاخر، لم يتحرك فيها الأمل"(عبد الستار، 2016، 9). بهذه الفاتحة النصية يصور لنا الروائي حجم الإهمال والاضطهاد الذي عانت منه البلدة وأهلها معززاً إهداءه الذي يفصح عن مواساته وتضامنه معهم، ومن خلالهم مع كل المهمشين بسبب اختلاف الديانة والعرق والمذهب، "إلى الذين حملوا الصليب وخرجوا من الموصل في ١٩ تموز ٢٠١٤"(عبد الستار، 2016، 5)، وغني عن الذكر ما ارتبط بهذا التاريخ من جرائم وحشية وتهجير قسري وإبادة جماعية وانتهاكات فاضحة لحقوق الإنسان طالت كل شرائح المجتمع بعد أن أحكمت العصابات الإرهابية القبضة على المدينة.

بدأ الأمل يدب في أوصال بلدة كرمليس عام ١٩٢٥ عند وصول رئيس وزراء المجر إليها موفداً من عصبة الأمم المتحدة لتقرير مصير الموصل، وقد توقفت سيارته عند كنيسة القديمة بربارة ودون في ملاحظاته أن أهالي البلدة يتوهمون امتلاك عظامها وعظام خادمتها يوليانا وهو ما يتعارض مع الوثائق التاريخية. وقبل

انتهاء عام ١٩٢٩ زار حارس الذخائر المقدسة كرمليس قادماً من روما، ولد ججو في تلك الليلة، فحمله أبوه بنيامين ليحصل على مباركة الضيف الرسولي إلا أنه "حين رأى الأصابع البيض تسم رأس الطفل وقلبه بشارة الصليب تجلت له المصائر وعرف أن ابنه سيكون مثله تماماً، يعاني النحافة وفقر المرونة، وأنه حين يكبر ويمشي سيحرك ذراعيه في الهواء على طريقة السياحة الحرة، وسيبدو من بعيد كطائر أعرج"(عبد الستار، 2016، 12). وهو ما حدث حين كبر ججو" بانت عليه العاهة، وتأكد شبهه بأبيه وأجداده"(عبد الستار، 2016، 12). إن التركيز على الملامح الخارجية أحد الأركان العامة في التشخيص يسبق خاصة في الروايات التقليدية تقديم الأحداث التي تسند إلى الشخصية أو تتمحور حولها(ابراهيم، 1988، 77)، غير أن النصين المقتبسين هنا من يوليانا يتجاوزان البعد المادي في رسم الشخصية لتعلقهما بإرث العاهة العائلي وتأثيره المؤكد على البعد النفسي والاجتماعي، وهو ما كان التحول إليه سريعاً في مسار السرد اعتماداً على تقانتي الحذف والتلخيص "حين يكمل ججو دراسته الابتدائية سأهبه لكنيسة القديسة بربارة"(عبد الستار، 2016، 15)، والسبب الذي يفصح عنه السرد برغبة روز أن تهب ابنها للكنيسة هو أنه بدأ يتحول إلى بنيامين صغير "تكره أن يراها أحد وهي تحمله لأنه لا يناسب جمالها، ولا يتجانس مع زهوها"(عبد الستار، 2016، 14).

لم يسهم جمالها في تحسين نسل العائلة، فتعززت في نفسها خيبة الأمل، الهاجس الذي انعكس على البعد النفسي في تشكيل هذه الشخصية فظلت حبيسة دائرته المغلقة، وهو ما يفتح باب الاحتمالات واسعاً عن الوضع النفسي والاجتماعي لشخصية ججو المرفوضة بمفارقة غريبة من الأم وهو أولى الناس بمحبتها والتعاطف الذي لم يلمسه منها، عندما أهدته إلى الكنيسة كما اعتزمت أن تفعل منذ البداية، أوكل إليه راعي الكنيسة مهمة العناية بضريحي القديسة بربارة وخادمتها يوليانا أملاً في أن يحظى بمحبة القديسة، وهي مهمة تكشف النظرة الدونية إلى هذه الشخصية المهمشة والجانب المعنوي فيها ليس إلا نوعاً من المواساة. ججو نفسه غير قادر على تقدير ذاته "فهو غير متيقن إن كان يحق لشخص مثله تذوق الحب"(عبد الستار، 2016، 17). وعلى الرغم من تغير نظرة راعي الكنيسة القس يوسف كوماني إليه لاحقا فإن ذلك لا يبرر إهماله له عديداً من السنوات كان فيها أشد ما يكون حاجة إلى الرعاية. القس لمس بعمق نقاء سريرة ججو وصدق إيمانه والكم الهائل في قلبه من المحبة وفي سلوكه من الإيثار "كيف يمكن للقديسة بربارة احترام حبي وأنا أطمع بأن تشفيني من عاهتي؟..

أنا الآن أحب يوليانا لأنني لا أريد منها شيئاً

سأله القس يوسف بوجل:

من علمك هذا؟

رد بلا ارتباك:

المنطق قانون العقل، والحب قانون القلب"(يوليانا، 2016، 19).

وقد تكررت مثل هذه الدلالات العميقة في أكثر من حوار بينهما مما جعل القس على يقين أن ججو قديساً عصرياً لم تقبله الكنيسة لأنه موضع سخرية الجميع، يتعرض للضرب والإهانة كلما توجه للوعظ "كان ججو في حينها قد صار شخصاً مملاً يبالغ كثيراً في التضحية دون أن يمتلك الدافع للعيش مثل البشر. توقفت روز عن محاولات دس النساء في ثنايا تبدلاته الذكورية، لأن ججو هددها بقطع عضوه وتعليقه على باب البيت إذا استمرت في التعاون مع الشيطان لتحريك غرائزه الدنيوية"(يوليانا، 2016، 27). يكشف هذا النص أن عاهة ججو ليست جسدية فحسب وإنما عقلية أيضاً فردة الفعل التي يهدد بها أمه غير متناسبة تماماً مع محاولاتها في أن تجعل منه إنساناً عادياً، وهو ما ينسجم مع بنية شخصيته في استبعاد قانون العقل والتمسك الفطري بقانون القلب، رأى في أبلحد وهو نصاب ومحتال لكنه ينفق أمواله في خدمة الناس أيقونة رجاء ووثق في أهدافه، فعمد ابلحد تزويجه من ابنته المنغولية تريزا، وقد تمكن من إقناع والدة ججو بطرق ملتوية بمباركة هذا الزواج الذي صوره لها طريق الخلاص لججو.

أولى الروائي نزار عبد الستار عناية بتفاصيل عناصر السرد لتضفي على الشخصية سماتها الجمالية بمعنى الاستثمار المائز لقوانين الخطاب الأدبي، وأكثر من ذلك يعمد إلى نسخ بنيتها باسم وتفاصيل أخرى ما يجعل الحفاظ على مسار السرد متناسقاً ومتماسكاً أمراً في غاية الصعوبة والتعقيد.

حنا / النسخة المعدلة

ولادة حنا وأبعاد شخصيته المعاد انتاجها مهدت له الرواية استباقاً قبل زواج امه تيريزا من والده ججو "أنت امرأة جميلة جداً، ومن عائلة غنية، فكيف قدر لك أن تنجبي هذا القلق؟

قالت روز:

– ججو كان يشبهني ورائحته من رائحتي، ولكن الرب غير شكله بعدما أنجبته بدقائق ليصبح شبيهاً بأبيه وأعمامه وأجداده. إنهم يتكررون بالشكل، ويرتكبون الحماقات نفسها لاعتقادهم بأن مار ادي الرسول كان هكذا، وسيظهر في أحدهم من جديد، وإن كانت هذه هي خطة الرب حقاً، أظن أن ججو هو أقرب من فيهم إلى المعجزة، وحين يتزوج ابنتك فسينجبه شرط أن يكون اسمه حنا"(عبد الستار، 2016، 54–55).

يراعي الحوار في هذا النص البعد النفس والاجتماعي لشخصية الأنثى – روز – فهي تعتقد أن ججو ولد جميلاً يشبهها لتنفي بذلك صلتها بهذه الشخصية في بعدها المادي، محتفظة بتصور إمكانية أن الرب يدخر معجزة لهذه السلالة وأنه قد يكون حفيدها، وهو ما آلت إليه مجريات السرد "جاء حنا نسخة عن أبيه وجده، وحاز سريعاً حب ابلحد الذي حمله في اليوم التالي إلى روز في كرمليس كي تفحصه، وتؤكد نبوءتها على

نحو قاطع"(عبد الستار، 2016، 86). عندما انتقل ججو إلى الموصل عمل خياطاً واتقن عمله بسرعة لأنه كان يصب كل تركيزه عليه، ويرضى بالقليل فأصبح يتردد عليه الكثير من الضباط والجنود وازدهر إلى جانب عمله عمل بتول بقلاوة التي كانت شقتها وكراً للبغاء، وهو الأمر الذي يعرفه الجميع إلا ججو، لذلك فهي ترى فيه ملاكاً وكانت تحمية سراً وقد تكفلت برعاية ابنه حنا الذي كان يقضي أغلب الوقت في شقتها مع الطفلة ياسمين ابنة ليلى إحدى النساء اللواتي يعملن معها.

ومثلما لم تكن لججو رغبة بالجنس حتى أن زواجه كان قسرياً بتفاصيله كلها فإن حنا كان عازفاً عنه أيضاً "كانت ياسمين ابنة ليلى تجده يصلح لألعاب البنات لأنه مطيع، ولا يكسر شيئاً، أو يخرب اللعب، وصامت على الدوام، وغير ناجح في الانتماء إلى عالم الذكور. لم تكن بتول راضية عن هذا، ولكنها عجزت عن دفع حنا إلى النمو على درب الرجولة"(عبد الستار، 2016، 88). السمات التي يعرضها النص لأكثر من بعد من أبعاد الشخصية يمكن النظر إليها بوصفها نسخاً معدلاً لشخصية حنا عن شخصية أبيه. الأحداث ومواقف الشخصيات الأخرى يعاد إنتاجها لتشكل نسقاً ينتهي إلى البؤرة الدلالية نفسها – تناسل الشخصيات – كلاهما يمشي كاللقلق ويتطاير الطعام من فمه عندما يأكل ويفسر الأحداث منعكسة على مرآة روحه المنغمسة في النقاء، يختلفان عن الآخرين بالشكل والقدرات، ولا يميلان إلى الأمكنة الجديدة لأن "أمان المعاق أن يكون في بيئة مألوفة"(عبد الستار، 2016، 91).

التناسل الرمزي

ينشط المفهوم التصوري عند بيرس للرمز بوصفه علامة العلامة وقد تكون العلاقة بين داله وما يشير إليه عرفية وغير معللة، في الوقت الذي يُخرج سوسير المصطلح من الحقل العلامي استناداً إلى عدم اعتباطية الرمز النسبية واحتوائه على رابطة تقرن بين الدال والمدلول فرمز العدالة – الميزان – لا يمكن الاستغناء عنه ببديل آخر (جاد، 2002، 123).

وهو طرح يبدو مستغرباً في ظل مسلمات سوسير نفسه، إذ إن الإشارة اللغوية عنده "تربط بين الفكرة والصورة الصوتية، وليس بين الشيء والتسمية"(دي سوسور، د.ت، 84). والصورة الصوتية المقصودة هي الصورة السايكولوجية بمعنى الأثر أو الانطباع الذي تتركه في الحواس (دي سوسور، د.ت، 85).

إن الخوض في إشكالية مصطلح الرمز ليست من أهداف هذا البحث إلا أن ما يجب تأكيده هو العلاقة التناظرية بمفهوم واسع بين الرمز وما يحيل إليه فالرمز "علامة تحيل إلى الشيء الذي تشير إليه بفضل قانون غالباً ما يعتمد على التداعي بين أفكار عامة"(بدوي، د.ت، 183). إن التمثل الرمزي للصفات يفترض كونها جوهرية (فتيحي، 1981، 174). وقد اختار نزار عبد الستار اسم الشخصية / الرمز عنواناً لروايته،

وواجهة الغلاف الاولى صورتها المتخيلة وهي تقف حاسرة الرأس في غرفة ضيقة ومعتمة وسواء كانت هذه الغرفة في الكنيسة أو السجن فإن الأضواء تشع من النافذة على وجه يوليانا وربما من وجهها على النافذة؛ لأن روحها نورانية "يوليانا ليست امرأة تماماً، وليست قديةً فقط. هي مدينة هي ضمير هي القوة الصامتة تنطق حين يجب أن تفعل وتختار بعناية من تخاطبهم. يكفي أن تلامس قبرها، وأن تداعب طيفها، يكفي أن تكون مجنوناً قليلاً، مستبعداً كثيراً وفق نواميس البشر الضيقة، يكفي أن تكون قلباً أبيض حتى تأتيك"(عبد الستار، 2016، واجهة الغلاف الأخير). كل هذه العناصر تؤكد البعد الخاص والمركب والرمزي لهذه الشخصية، ومعلوم ما للعتبات من أهمية اكتسبتها مع تبلور مفهوم النص التفاعلي بما يتيح رصد العلاقات التي تصل النصوص –ومنها العتبات – بعضها ببعضها الآخر (بلعاد، 2008، 14).

يرتكز التناسل الرمزي للشخصيات على فرضية أن من تختار يوليانا أن تخاطيهم، المبعدون على وفق المعايير الضيقة، الذين لم تشوههم الكراهية والأطماع، الذين يؤمنون بأن الحب هو قانون القلب، هؤلاء هم النسل الرمزي لهذ الشخصية. ججو وابنه حنا ينتميان انتماء أصيلاً لفضاء عالم يوليانا الرمزي لأن روح كليهما موصولة بروحها "العظام تنام في قبورها لكن الروح تتحرك على هوى القلب"(عبد الستار، 2016، 176). وصلتها بالآخرين كانت من خلالهما ولهذا سنحاول رصد انتماء شخصيات أخرى إلى هذا العالم، يبدو أن شمونيا من أهمها "شمونيا انحرفت قليلاً عن الواجب وراحت تحترم أفعال ابن خالتها الوحيد ججو وهي معجبة بمبادئه الصامدة"(عبد الستار، 2016، 30)، وفكرة الواجب التي يشير إليها النص لم تكن إلا خطوة تمهيدية في تطور نمو هذه الشخصية وتأكيد انتمائها لمدار القيم الذي تتحرك فيه الروح على هوى القلب، في الوقت الذي كان يتعرض فيه للضرب والإهانة والاحتقار كانت تجلب له البيض المسلوق وخبز الرقاق والطحينية إلى الكنيسة "آملة أن ينتبه الى حنانها لا إلى رحمة الرب"(عبد الستار، 2016، 24). أن تحب امرأة رجلاً بصفات ججو لا يعني إلا أنها تنتمي إلى عالمه الروحي وأنهما يقفان في الزاوية نفسها وهما ينظران الى عالم لا ينتميان اليه. طريقتها في التودد إليه ولفت انتباهه إلى حنانها، قابلها بموقف نظير "ججو أيضاً بدا هادئاً وأقل اكتراثاً بما يفعله الشيطان بالبلدة. كانت تلك بداية مرحلة التفكير عنده إلى درجة أنه أهدى شمونيا صباحاً كيساً من الغزنايج، وقال لها إنه تذكرها، وهو في الموصل"(عبد الستار، 2016، 28). رسائل الجسد يشعران بها لكنهما لا يفهمانها بطريقة مألوفة، لذلك لم ترسم الرواية مشهداً نافراً بينهما لرغبات الجسد. المرة الوحيدة التي اصطحبها فيها خارج فضاء الكنيسة وما يتصل به من جولات إيمانية كانت تلبية لدعوة أبلحد لحضور حفل تقيمه عفيفة اسكندر في الكازينو العائدة له، واختار مكاناً خاصاً ليجلس فيه ججو وشمونيا، وسألهما إن كانا يعانيان من لسعات البعوض المنتشر في المكان، "انحنى ججو

الى الأمام ليتأكد من وجود الفرصة على وجه شمونيا فقد أخبرها أنه سيحقق لها أمنية كبيرة ثم قال لابلحد: أنا وشمونيا نحب البعوض كجبنا للبلابل"(عبد الستار، 2016، 69).

يكشف النص عن وعي الشخصيتين الفطري بأهمية الطبيعة، وهو وعي يمرره الروائي من خلال شخصياته، يرتكز على أن التعامل مع الطبيعة يجب أن يكون بروح البر "إنه تهذيب الإرادة بالاحترام، إنه أي البر يعترف بحق الوجود لأشياء أوسع من الأنا، أشياء تختلف عن الأنا"(زيرمان، 2006، 170). عنيت الرواية بتكثيف العلامات المادية والمعنوية التي تصل الشخصيات / سلالة يوليانا الرمزية ببعضها "بعد ان طبع قبلته على رخامة القبر كما اعتاد أن يفعل خيل إليه أنه سمع صوت شمونيا"(عبد الستار، 2016، 72). المصائر اختلفت، ججو انتقل للسكن في الموصل وتزوج من تريزا البعيدة كل البعد عن عالمه الخاص، وشمونيا تزوجت من موظف مرموق في السفارة الفرنسية، أصبح لاحقاً سفير بلده في العراق، وعاشت معه حياة مترفة غيرت فيها كل شيء إلا قليها الذي ظل عالقاً بمحبة رجل لا يمكن لامرأة لا تنتمي إلى عالمه الرمزي نفسه أن تحبه، تضافرت الكثير من الأحداث والمواقف لتؤكد الانتماء الذي اختارت معه شمونيا البقاء في بيت ياسمين حيث يوجد حنا ويوليانا وججو تاركة خلفها الأموال والقوة وجمال باريس وحضن الزوج والأولاد "قالت القديسة كان ججو يسير باعتدال كرجل سليم لأنه كان يتجه إليك. لم تكن قبلاته لرخامة قبري هي من تفعل به هذا (...)

هو استمع إليك أيتها الطوباوية وسافر إلى الموصل... الرب أراد هذا لأنه يعرف أن كل شيء زائل إلا حبك لججو، لا قيمة لحياة ممكن نسيانها لا قيمة للطعام والملابس والمال، إثم الإنسان يقتلع مع الأشياء التي بلا قيمة هذا لا إثم في الحب أيتها العاشقة"(عبد الستار، 2016، 232-233).

يضع النص كل ما هو مادي يقدر بثمن في إطار ما يمكن نسيانه، في موازنة تترجح فيها القيم الراسخة في وجدان الشخصيات/ سلالة يوليانا الرمزية، وتمثلت في أكثر في حوار يحمل طابعاً فلسفياً تجسده رؤية قائمة على نقاء الروح والرغبة في التضحية وليس القدرة عليها فحسب، والمحبة التي جعلت من ججو المعاق يسير باعتدال وهو يتجه الى شمونيا، وابنه حنا، يحمل إرث العاهة والقيم يسير باعتدال أيضاً وهو يفكر بياسمين، وحين تصف يوليانا شمونيا بأنها عاشقة فهذا يعني أنها تراها قديسة أيضاً "سألها: هل أنت قديسة أم عاشقة ؟ ردت لا فوق"(عبد الستار، 2016، 97).

الحوار الذي كشف لشمونيا الكثير من المواقف والأحداث وصنعها في مواجهة صادقة وعميقة مع الذات لهذا اختارت البقاء في بيت ياسمين حيث يوجد حنا، ويوليانا وججو – وجوداً معنوياً – تاركة خلفها الأموال والسلطة وجمال باريس وحضن الزوج والأولاد.

ياسمين هي المثال الآخر الواضح على الانتماء إلى عالم يوليانا الرمزي، لم تكن ولادتها ونشأتها شيئاً يمكنها التحكم به، أمها ليلى إحدى فتيات الليل، تزوجت رجلاً أحبها وأنجبت منه ابنتها ياسمين، أدرجته الحرب في قائمة ضحاياها الطويلة والجأتها إلى مقايضة الجسد بالمال في شقة بتول بقلاوة كما كانت تفعل قبل زواجها، وكانت بتول تولي عناية خاصة بحنا الطفل الذي وجدت له أخيراً من سيشاركه اللعب "كان الجميع يتعاملون مع حنا على انه معاق إلا ياسمين"(عبد الستار، 2016، 89). وهذا ما كان يراه الآخرون في ججو الا شمونيا ياسمين أخضعت حنا لسطوتها، تراقب النتائج الشهرية لامتحاناته وتحاسبه بمعاييرها الأمومية، يجدها دائماً عندما يعود تحت منضدة الطعام تلعب مع أطفالها البلاستيكيين أو تطبخ لهم، وقبل أن تختفي من الشقة أخبرت حنا أنه إذا لم يجدها فعليه أن ينتظرها كل خميس في العاشرة صباحاً أمام سينما أشبيلية. بعد تسع سنوات جاءت إلى موعده، لكنها في هذه الأثناء كانت تراقبه وهو ينتظرها. عملت في منزل نائب محافظ نينوى تخدم والدته المريضة، فاغتصبها ابنه، وطردت من عمل آخر في الشركة العامة للغزل والنسيج وكل ذلك يتعلق بالنظرة الدونية إلى المرأة بوصفها جسداً هشاً قابلاً للاستغلال، وهو مفهوم سائد في البنيات الاجتماعية اضطلعت الحركات النسوية بمساءلته ونقده ليس فيما يتعلق بالمرأة فقط بل بالمهمشين والمستغلين والآخر غير البشري من الحيوانات والنباتات والطبيعة (جين، 2004، 12). ويصيب هذا الخلل البنيوي في النظرة الاجتماعية المرأة بنوع من العوق الافتراضي يجعلها غير قادرة على التحكم بقراراتها المصيرية وهو ما دفع بياسمين إلى الخطيئة التي ترى فيها استعباداً وليس أدل على ذلك من رغبتها المكبوتة في استعادة إنسانيتها المستلبة "بعد أربعة أيام عاشتها مع حنا في بيتها، شعرت ياسمين بأنها مستقرة وناضجة أكثر مما ظنت ويمكنها تربية الأطفال، ولا تحتاج إلى استعمال الأفعال (...) وتستطيع النوم بلا آرق والأضواء مطفأة"(عبد الستار، 2016، 135).

تعرض الرواية ببنائية متقنة طبيعة العلاقة بين الشخصيتين وكيف يكبر الحب بينهما "يبدو أن مريمك المجدلية شفتك من عاهات آل بنيامين، فمن سينما أطلس إلى المتحف وأنت تسير مثل البشر، انتعشت صور الذكرى الغجرية، مجدداً في حواسه، فقال وهو لين: ججو عثر على يوليانا، وحنا وجد ياسمين"(عبد الستار، 2016، 169).

ومع ملاحظة أن المرأة الخاطئة المشار إليها في الانجيل مختلف بشأنها، أهي المجدلية أم امرأة أخرى (جورج، 1992، 60)، فإن النص الروائي يستلهم فكرة أن النفس الإنسانية ليست شراً أو خيراً خالصاً، والحب هو المعجزة الحقيقية في حياة الإنسان. صور الذكرى الفجرية التي انتعشت في ذهن حنا فجعلته يمشي بثقة كلها لياسمين، وهي تتناول معه وجبة الفطور، ثم تساعده في ارتداء ملابسه وتحذره من البقاء في كرمليس التي يعتزم الذهاب إليها استجابة لدعوة جده لأمه أبلحد، وقد يكون وصيف صور الذكرى بالفجرية – نسبة

إلى الفجر – مقصوداً بدلالة تتجاوز حدود التأقيت الزمني، لأن فجراً جديداً بزغ في حياة حنا ذلك اليوم، ياسمين تكشفت مشاعرها تجاهه بوضوح من جهة وجده أبلحد أعطاه بعد وصوله إلى كرمليس حقيبة فيها خمسة كيلوغرامات من سبائك الذهب تكفيراً عن تسلطه على حياة ججو وإجباره على العيش مع تريزا. والأهم من ذلك أن حنا رأى يوليانا في اليوم نفسه. زار كنيسة القديمة بربارة وطلب منها أن يعم السلام في الأرض وأن تنتهي الحرب، لكن يوليانا ظهرت له في مشهد يعيد إنتاج رؤية أبيه لها، فهو مثله لم يسأل الشفاء لنفسه من عاهته لكن إيقاف الحرب هو قرار أطرافها كما تراه القديسة ولذلك فإنها لا تتدخل فيه، استأذن القديسة أن يسأل ياسمين ثم يعود إليها "لا تتعب نفسك في العودة سأذهب معك

– ستاتين معي إلى بيت ياسمين؟

ردت وهي تسير نحوه: النور للظلام ياحنا"(عبد الستار، 2016، 179).

البيت الذي كان وكراً للخطيئة أصبح مسكناً لعائلة من سلالة يوليانا الرمزية ونقطة مضيئة في حياة كل من استطاع الوصول إليه. المنحة الإلهية التي غيرت كل شيء كانت لحنا "قالت القديسة يوليانا وهي جالسة على وسادة ياسمين ووجها نحو خزانة الملابس:

لم أشفِ أحداً ولا قدرة لي على هذا. حين رفض حنا أن يبرأ من علته حباً بشفقة ياسمين نال من الرب فوق ما يحلم وأكثر مما يستطيع أن يتمنى"(عبد الستار، 2016، 244).

خاتمة الرواية تضيء جوانب على قدر كبير من الأهمية، وتتيح إمكانية الوقوف عندها في دراسة مستقلة، نظرا لعلاقتها الوشيجة بالأبعاد الثقافية والاجتماعية التي أسس لها السرد مستلهماً مفهوم جيرار جينيت للاستهلال البعدي "الذي يتمثل غالباً في الخاتمة"(بلعاد، 2008، 113).

يقف حنا إلى جوار أسرته الرمزية وهو يرتدي دشداشة الوعظ العائدة لأبيه الذي كثيراً ما يظهر مساء على سطح المنزل، معتذراً عن تلبية طلب وفد كرمليس بإعادة القديسة، وقد تضمنت رسالته الموجهة إليهم الكثير من القيم التي تمثلت نمط الثقافة/ الضد في مواجهة الثقافة السائدة "تستغربون إذا ما تجلى نور العالم لرجل معاق أحب الله، وعبّر عن حبه بطريقة ساذجة"(عبد الستار، 2016، 252). الاستفهام الإنكاري في النص ينتصر للهامش الذي تمثل العاهة إحدى صوره، ويضمر نفي الحق بادعاء احتكار الفضيلة.

الخاتمة

خلصت دراسة (تناسل الشخصيات / نسخ البنية) مقاربة سوسيوثقافية في رواية يوليانا لـ (نزار عبد الستار) إلى جملة من النتائج والآراء يمكن أن نجملها فيما يأتي:

– سعت الدراسة إلى ربط النص بأبعاده الثقافية والاجتماعية وتمثّل منظومة القيم التي عمدت الرواية إلى ترسيخها.

- ان مصطلح تناسل الشخصيات محدود التداول في الدراسات النقدية اجترحت الدراسة تأطيراً مفهومياً له بوصفه تقانة من تقانات بناء الشخصية.
- عمد الروائي الى نسخ بنية بعض شخصياته المترابطة – بيولوجياً ورمزياً – مماهياً بسحرية بين الواقعي والمتخيل.
- خاتمة الرواية تضيئ جوانب ثقافية على قدر كبير من الأهمية، يمكن الوقوف عندها في دراسة مستقلة، بتبني مفهوم جيرار جينيت للاستهلال البعدي.

المصادر

إبراهيم، عبد الله (1988) البناء الفني في الرواية العربية لرواية الحرب في العراق – دراسة لنظم السرد والبناء في الرواية العراقية المعاصرة، بغداد: دار الشؤون الثقافية.

ابن منظور (د.ت) لسان العرب، بيروت: دار لسان العرب.

بحراوي، حسن (1990) بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية)، ط1، بيروت: المركز الثقافي العربي.

بلعاد، عبد الحق (2008) عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص)، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.

جاد، عزت (2002) نظرية المصطلح النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

جنداري، إبراهيم (2000) حركة الشخوص في شرق المتوسط، بغداد: الموقف الثقافي، بغداد، ع27.

جورج، فهمي (1992) القديسة مريم المجدلية (رؤية آبائية)، ط1، الإسكندرية، كنيسة مار مرقس والأنبأ بطرس.

جين، ليندا (2004) أنثوية العلم – العلم من منظور الفلسفة النسوية، سلسلة عالم المعرفة (306)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

الخليل، سمير (2022) دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي – إضاءة توثيقية للمفاهيم الثقافية المتداولة، ط2، منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.

دي سوسور، فردينان (د.ت) علم اللغة العام، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز.

زكي، احمد (1991) معجم مصطلحات الدراسات الإنسانية، دار الكتاب المصري واللبناني.

زيرمان، مايكل (2006) الفلسفة البيئية – من حقوق الحيوان إلى الأيكولوجيا، الجذرية، سلسلة عالم المعرفة (333)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

العاني، نزار (1989) أضواء على الشخصية الإنسانية – تعريفها – نظريتها – قياسها، ط1، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة.

عبد الستار، نزار (2016) يوليانا، هاشيت أنطوان، بيروت.

غازي، فيصل (2020) سرديات التجريب– قراءة في متخيل الرواية العربية الجديدة، ط1، عمان: غيداء للنشر والتوزيع.

فتحي، إبراهيم (1981) معجم المصطلحات الأدبية، تونس: المؤسسة العربية للناشرين المتحدين.

فورستر، ادم (1960) أركان القصة، ت: كمال عياد جاد، القاهرة: دار الكرنك للنشر والتوزيع.

نجم، سالم (2014) الخطاب الروائي العربي – ثلاثية " شكاوى المصري الفصيح" أنموذجاً، الإسكندرية، ط1.

النورس، حبيب (2014) الرواية العراقية من منظور النقد الثقافي – دراسة في تحولات الأنساق الثقافية، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

Ibrahim, Abdullah (1988) The Artistic Structure in the Arabic Novel: The War Novel in Iraq - A Study of Narrative Systems and Structure in the Contemporary Iraqi Novel, Baghdad: Dar al-Shu'un al-Thaqafiyya**.**

Ibn Manzur (n.d.) Lisan al-'Arab, Beirut: Dar Lisan al-'Arab**.**

Bahrawi, Hassan (1990) The Structure of the Novelistic Form (Space - Time - Character), 1st ed., Beirut: Arab Cultural Center**.**

Bal'ad, Abdulhaq (2008) Thresholds (Gérard Genette: From Text to Paratext), Beirut: Arab Scientific Publishers**.**

Jad, Izzat (2002) The Theory of Critical Terminology, Egyptian General Book Organization**.**

Jandari, Ibrahim (2000) The Movement of Characters in the Eastern Mediterranean, Baghdad: Al-Mawqif al-Thaqafi, Baghdad, No. 27**.**

George, Fahmy (1992) Saint Mary Magdalene (A Patristic Perspective), 1st ed., Alexandria, Church of Saint Mark and Saint Peter.

Jean, Linda (2004) Feminism of Science: Science from a Feminist Philosophy Perspective, World of Knowledge Series (306), National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait.

Al-Khalil, Samir (2022) A Guide to Cultural Studies and Cultural Criticism Terms: A Documentary Illumination of Common Cultural Concepts, 2nd ed., Publications of the General Union of Writers and Authors in Iraq.

Ferdinand de Saussure (n.d.) General Linguistics, translated by Yoel Yousef Aziz.

Ahmed Zaki (1991) Dictionary of Humanities Terms, Egyptian and Lebanese Book House.

Michael Zerman (2006) Environmental Philosophy: From Animal Rights to Ecology, Radical, World of Knowledge Series (333), National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait.

Al-Ani, Nizar (1989) Lights on the Human Personality: Its Definition, Theory, and Measurement, 1st ed., Baghdad: General Cultural Affairs House.

Abdul-Sattar, Nizar (2016) Yuliana, Hachette Antoine, Beirut.

Ghazi, Faisal (2020) Narratives of Experimentation: A Reading in the Imaginary of the New Arabic Novel, 1st ed., Amman: Ghayda for Publishing and Distribution.

Fathi, Ibrahim (1981) Dictionary of Literary Terms, Tunis: The Arab Foundation for United Publishers.

Forster, Adam (1960) The Elements of the Story, trans. Kamal Ayad Jad, Cairo: Dar Al-Karnak for Publishing and Distribution.

Najm, Salem (2014) The Arabic Novelistic Discourse: The Trilogy "The Complaints of the Eloquent Egyptian" as a Model, Alexandria, 1st ed.

Al-Nawras, Habib (2014) The Iraqi Novel from the Perspective of Cultural Criticism - A Study in the Transformations of Cultural Patterns, Baghdad: General Cultural Affairs House.